إشكالية تنامي الهُوية في الفكر المسيحي المبكر
عند يوستينوس الشهيد

محمد أبو المجد محمد*

dr.aboelmagd@art.svu.edu.eg

ملخص

يطرح هذا البحث رؤية جديدة لمفهوم فلسفي أصيل يغوص في أعماق المعرفة الفلسفية؛ لما يتميز به من مميزات تجعله في مقدمة المفاهيم المهمة في حقل الدراسات الفلسفية؛ فهو يمثل حالة الصراع التي يعيشها من يمارس البحث الفلسفي بُغية الوصول إلى الحقيقة ومن ثم الانتماء لها أيًا كانت العواقب. وقد تجلت هذه الحالة بصورة واضحة في موضوع بحثنا المعنون بـ"إشكالية تنامي الهوية في الفكر المسيحي المبكر عند يوستينوس الشهيد"، فقد عملنا في هذه الدراسة على كشف العوامل التي ساهمت في تعزيز وتقوية هوية الجماعات المسيحية في أوقاتها المبكرة، رغم وجود عديد من التحديات آنذاك. وقد مثل القديس يوستينوس نموذجًا مهمًا لتلك الحالة؛ فهو من أوائل الفلاسفة المسيحيين – إن جاز التعبير – الذين مثلوا حلقة وصل بين الفلسفة والمسيحية. فقد استعار المفاهيم الفلسفية الواردة من المدارس الفلسفية المختلفة وحاول تطويعها لخدمة المسيحية، وقد ساهم ذلك بشكل كبير في إقناع أتباع المسيحية في مرحلة تنامي ونشوء وصعود الهوية المسيحية، في مواجهة عدة تحديات تمثلت أهمها في العلاقة بين اليهودية والمسيحية من جهة، وقدرة المسيحية على إثبات هويتها وأحقيتها في وجه الفلسفة اليونانية من جهة أخرى، بالإضافة إلى حالة الصراع مع السلطات الرومانية آنذاك.

الكلمات المفتاحية: يوستينوس الشهيد– الهُوية– اللوغوس– الحقيقة – التجسد

* مدرس بقسم الفلسفة بكلية الآداب- جامعة جنوب الوادي

مقدمـــــــــة:

لا شك أن البحث في مفهوم الهُوية Identity وعلاقتها بالدين يمثل أهمية كبرى في حقل الدراسات الفلسفية؛ باعتبار أن مصطلحي (الهُوية والدين) يرادف كل منهما مفهومًا من المفاهيم الفلسفية الأصيلة وهما (الحقيقة والمطلق). فالهُوية هى الحقيقة والدين هو المطلق. ويمثل الدين أحد أهم ركائز الحقيقة وأحد أهم محددات الهُوية؛ لارتباطة بالبنية العميقة للإنسان وتكوينه الداخلي، الذي يحدد – بشكل كبير– مسار ومسلك ذلك الإنسان. وعلى ذلك الأساس نعمل في بحثنا هذا على استجلاء وكشف جوانب تلك العلاقة بين الهُوية والدين، باعتبارهما ركيزتين أساسيتن استندت عليهما المسيحية المبكرة محاولة البحث عن هوية حقيقية عالمية تُمثل "حقيقة مطلقة"، ضمّت تحت لوائها جماعات متفرقة من البشر في شتى بقاع الأرض وقتئذ. وباعتبار الهُوية مفهوم فلسفي أصيل، أنه قد نوقش بصورة عميقة وجادة من قبل فلاسفة اليونان سواء سقراط Socrates (٤٧٠ ق.م – ٣٩٩ ق.م) أو أفلاطون Plato (عاش ٤٢٧ ق.م – ٣٤٧ ق.م) أو أرسطـو Aristotle (٣٨٤ ق.م – ٣٢٢ ق.م) هادفين من وراء ذلك إلى تعزيز وتقوية الهُوية الهيلينية مقابل الهُويات الأخرى. وإذا بحثنا عن دعائم تلك المحاولة والمغامرة الشاقة في الفكر المسيحي المبكر، لوجدنا أن كتابات الآباء الدفاعية المبكرة أداةً رئيسية من أدوات المسيحية الناشئة لتدعيم تلك القضية.

ولقد عانت المسيحية الناشئة صراعًا مريرًا في بحثها عن هوية حقيقية في عالم مليئ بالتحديات من عدة جوانب: فمن ناحية عانت دينيًا لإثبات هويتها

الدينية المستقلة عن الديانة اليهودية، ومن ناحية أخرى عانت معاناة بالغة من الاضطهادات التي فرضتها السلطات السياسية الرومانية على المنتمين للديانة المسيحية المتنامية بقوة في جميع أرجاء الإمبراطورية، كما عانت المسيحية الناشئة من ناحية ثالثة حين حاولت إثبات هويتها الفكرية المستندة على المعقولية في وجه الثقافة اليونانية التى واجهتها المسيحية أينما حلّت أو ارتحلت. كل هذه التحديات فرضت على أتباع المسيحية محاولة إثبات وتدعيم هوية مستقلة جديدة وحدت المسيحيين آنذاك.

وإذا كانت الهُوية تعنى الحقيقة أو الوحدة بين الذات والموضوع أو غير ذلك، فإننا سنحاول إيضاح كيف ادّعى الفكر المسيحي المبكر امتلاك تلك الحقيقة الكاملة واحتكارها، بل وقصرها على المسيحية دون غيرها! ممثلاً في كتابات الآباء اللاهوتيين والفلاسفة المسيحيين على حد سواء، وقد هدفت اجتهادات آباء الكنيسة للدفاع عن العقيدة من جهة، وتحقيق هوية مسيحية مستقلة عن التعصب والانغلاق اليهودي من جهة ثانية. فكانت بذلك مساهمة فى تحديد الإطار العام للاهوت المسيحي. تضمنت شرح العقيدة الجديدة وتقنينها. ودحض آراء الوثنيين. والرد عما اعتبروه زيغًا عند بعض الجماعات المسيحية.

ويُعد يوستينوس الشهيد(١٠٠- ١٦٣م) أحد أهم الآباء المدافعين عن المسيحية، في وجه نظيراتها من الثقافات المجاورة، إذ كانت كتاباته بمثابة حلقة وصل بين المسيحية والفلسفة اليونانية من جهة، كما أنها استجلت ووضحت الفارق بين اليهودية القديمة والمسيحية المتجددة من جهة أخرى. هادفًا إلى

توطيد دعائم المسيحية، وباحثًا عن هوية حقيقة جديرة بأن تُرضي طموح معتنقي المسيحية، وسط تحديات كُبرى واجهتها المسيحية وقتئذٍ، تمثلت في الديانة اليهودية المنغلقة على نفسها، والفلسفة اليونانية المتفاخرة بعقلانيتها، والإمبراطورية الرومانية صاحبة السيادة والنفوذ.

وقد ظهر ذلك بصورة جلية حينما أعلن يوستينوس أنه وجد ضالته في المسيحية بعد معاناة شديدة للبحث عن اليقين الكامل المحفّز على إدراك الهُوية (الحقيقة) المستندة على أدلة وبراهين. وقد انعكس ذلك بصورة كبيرة على كتابات الآباء المدافعين عن المسيحية في وجه الفرق والثقافات المغايرة، فها هو القديس ترتليان (١٦٠- ٢٢٠م) يدعم وجهة النظر هذه حينما يؤكد أن المسيحية هى الوحيدة القادرة على امتلاك الحقيقة الكاملة وقد سعى جاهداً لقطع كل أواصر الصلة بين المسيحية والفلسفة، نافياً أية علاقة بين الفلسفة والإيمان، فى مقولته الشهيرة": "وأي علاقة بين أثينا وأورشليم، بين الأكاديمية والكنيسة، بين الهراطقة والمؤمنين؟، وهذه وجهة نظر دعمها بكل قوة اللاهوت الآبائى المدافع عن الدين، وقد انسحبت تلك النظرة على الفكر المسيحي اللاحق للآباء المدافعين، مما ألقى بظلاله على وجهة نظر أعظم ممثل للآباء الكاثوليك في القرون التسع الأولى وهو القديس أوغسطين (٣٥٤- ٤٣٠م)، حيث تجلى ذلك فى تحفته الخالدة "مدينة الله" مدافعًا فيها عن المسيحية ومؤكدًا بصورة مطلقة أن روما ما كانت لتسقط وتفقد هويتها لو اتبعت ما جاء فى المسيحية من تعاليم وأفكار، معللاً سقوطها بفسادها الأخلاقي وحب الدنيا مما عجل بدمارها ونهايتها.

وإذا أمعنا النظر في تلك الادعاءات لوجدنا أنها تحمل في طياتها دلالات مفادها: أن الحقيقة تتجسد بصورة نهائية في العقيدة المسيحية؛ لتصبح شاملة وصالحة لكل زمان ومكان على اختلاف الظروف والأحوال، وتأتى هذه الدراسة لبيان فحوى تلك الادعاءات، وبيان حقيقتها لدي حقبة مهمة في تطور الفكر المسيحي.

وقد استدعت دراسة هذا الموضوع طرح مجموعة من التساؤلات، أهمها:

أولاً: كيف يمكن تأصيل مفهوم الهُوية في المسيحية المبكرة مع مراعاة السياق التاريخي في علاقة المسيحية المبكرة بغيرها من الثقافات؟

ثانيًا: ما الدور الذي لعبه الدين باعتباره معطىً من معطيات الهُوية، داخل الجماعة المسيحية في أوقاتها المبكرة، وكيف ساهم العامل الديني في بناء وحدة الجماعة المسيحية المتفرقة آنذاك وتوحيد صف أتباعها رغم الظرف الصعب؟

ثالثًا: هل ساهم الانتماء إلى المسيحية في تحويل التشتت والتفرق في الجماعة المسيحية إلى وحدة متجانسة، ومن ثم تحويل تلك الوحدة إلى كيان ثابت مستقل عن المتغيرات التاريخية والثقافية المجاورة لها؟.

رابعًا: هل نجح يوستينوس في عرض أفكاره الدفاعية المسيحية الأصيلة، رغم صعوبة التحديات آنذاك؟ وكيف نجح في انتقاء وتحديد المفاهيم الأصلية التي ارتكزت عليها المسيحية واستعارتها من بعض الثقافات المجاورة وترك أخرى؟.

خامسًا: وهناك تساؤل محوري وهو هل نجح يوستينوس في توحيد الحقيقة في المسيحية بحيث جعلها تجمع بين الموضوع والمحمول في آن واحد باعتبار أن

المسيحية هي الموضوع والحقيقة تتمثل فيها إذا هناك وحدة بين الذات والصفات المحمولة عليها.

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي والمنهج النقدي؛ لتحليل وفهم جوانب فلسفة يوستينوس الشهيد، وكذلك تقديم رؤية نقدية معتمدة على تقصّي وتحليل دقيق للأفكار الواردة في البحث.

أولاً: تعريف الهُوية لغة واصطلاحاً:

أ-الهُوية لغة:

لفظ الهُوية identity مشتق من الهُو كما تشتق الإنسانية من الإنسان. وهوية الشيء هي عينيته وتشخصه وخصوصيته التي ندركها بالإجابة على السؤال "ما هو"؟.[١] وارتبط معناها عند الجرجاني بـ"الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق. والهُوية السارية في جميع الموجودات، فهي الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار[٢]ولفظ الهُوية ليس عربياً في أصله، وانما اضطر إليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، الذى يدل على ارتباط المحمول بالموضوع فى جوهره، واسم الهُوية مرادف لاسم الوحدة والوجود، وهي "الحقيقة المطلقة"، لذلك قيل إن

١ – جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٤م، ص ٤٩٤. مادة .الهوية (العينية).

٢– الشريف علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٢٥٢. مادة الهوية.

"الأحق باسم الهُوية من كان وجود ذاته من نفسها، وهو المسمى بواجب الوجود والمستلزم للقدم والبقاء".[٣]

وتعني الهُوية فلسفيا حقيقة الشيء أو الشخص الذي تميّزه عن غيره، وبطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله[٤]، والهُوية تعني: الذات[٥]، وهي عبارة عن التشخص، وقد تطلق على الوجود الخارجي، وقد تطلق على الماهية مع التشخيص، وهي حقيقته الجزئية، وقد تطلق على الذات الإلهية، فهُويّة الحق هي عينه[٦]. وفلسفة الهُوية بوجه عام هي كل نظرية لا تفرق بين الذات والموضوع، ولا بين المادة والروح، وتنظر إليهما على أنهما وحدة لا تنفصل.[٧]

وفي نظرية المعرفة مبدأ الهُوية ومبدأ عدم التناقض والثالث المرفوع هي قوانين ضرورية للفكر المنطقي، ولا يكون الفكر سليما إلا إذا التزم بها، وصيغته "ما هو–هو" ويصفه "ليبنتيز" بأنه مبدأ الحقائق السرمدية.[٨] أما الهُوية

---

[٣] - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جـ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٥٢٩– ٥٣٢، مادة الهُوية .

٤– مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٩٩٨، مادة الهُوية .

٥– مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٦٥٤. مادة الهُوية .

٦– مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٦٦٧ . مادة هوية.

٧ – المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٤٠. مادة فلسفة الهوية.

١– عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج ٢، ط١، المؤسسة العربية لطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٥٧٠.

المنطقية فهي علاقة التساوي بين شيئين اثنين كالهُوية الرياضية أو المساواة الجبرية كقولنا الإنسان = حيوان ناطق.[٩] والهُوية هي الضروري مطلقًا، ويقابلها المستحيل مطلقًا. إنها تقوم في الوحدة المطلقة بين الذاتي والموضوعي.[١٠]

ب-الهُوية اصطلاحًا:

يطلق اصطلاح فلسفة الهُوية identity philosophy على مذهب شيلينغ Schelling (١٧٧٥ . ١٨٥٤م) القائل بوحدة الطبيعة والفكر، ووحدة المثل الأعلى والواقع.[١١] يُطلق مفهوم الهُوية على نسق المعايير التي يُعرف بها الفرد ويُعرّف، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع والثقافة. والهُوية ليست كيانًا يُعطى دفعة واحدة وإلى الأبد. إنها حقيقة تولد وتنمو، وتتكون وتتغاير، وتشيخ وتعانى من الأزمات الوجودية والاستلاب.[١٢] وتُعد الهُوية تعبير عن الحرية، الحرية الذاتية. والهُوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد. إن وُجدت فالوجود الذاتي، وإن غابت فالاغتراب. وقد أصبحت الهُوية عنوانًا لفلسفة

٩ – جميل صليبا: مرجع سابق، ص ٥٣١، مادة الهُوية .

١٠ – عبد الرحمن بدوي: مرجع سابق، ص ٥٧٠

١١– جميل صليبا: مرجع سابق، ص ٥٢٩– ٥٣٢، مادة الهُوية .

١٢ – إليكس ميكشيللي، الهُوية، ترجمة: علي وطفة، ط١، دار الرسيم للخدمات الطباعية، سوريا، ١٩٩٣م، ص٧.

"فلسفة الهُوية " عند شيلينغ، أي أن يكون الوجود مطابقًا لنفسه دون فصام أو انقسام أو ازدواجية أفلاطونية.(١٣)

ومن الناحية الفلسفية نجد أن مفهوم الهُوية هو مفهوم مجرد يحمل أهمية ميتافيزيقية. لا يمكن الإشارة إلى مرجعها وقيل إنها هذا أو ذاك. بعبارة أخرى، قد يكون المرء قادرًا على وصف المصطلح الذي يمكن فهمه على أنه حالة من التماثل في الطبيعة والصفات وما إلى ذلك، وفي تناقض مع الآخرين المختلفين. وبالتالي، فإن التحديد هو تحديد أو عزل السمات التي تميزه عن الآخرين وتسبب الخلافات. وبالتالي، فإن الحديث عن الهُوية يعني الحديث عن علاقة صراع، والتي تشكل أساس المشكلة الفلسفية الأساسية للهوية.(١٤)

وتستعمل كلمة الهُوية في الأدبيات المعاصرة لتعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقته لمثيله. والمطابقة بهذا الشكل تكون، إذن، إما مطابقة عددية وهي التي تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد ومن جهة كونه هو هو. وإما مطابقة شخصية وهي التي تطلق على الشخص باعتباره يبقى هو هو رغم ما قد يطرأ عليه من تغيرات خارجية. وإما نوعية أو كيفية وفي هذه الحالة تعبر عن التطابق والتماثل بين شيئين متمايزين من حيث العدد والزمان والمكان ولكن لهما الخصائص والصفات نفسها أو يشتركان في

١٣ – د. حسن حنفي: الهُوية، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص– ص ١١–١٣.

14 - Sonia Sikka, Bindu Puri, Lori G. Beaman: Living with Religious Diversity, first published, Rout ledge, United Kingdom, 2016,p. 144.

بعضها.[١٥] وبوجه عام كل نظرية لا تفرق بين المادة والروح، ولا بين الذات والموضوع، وتنظر إليهما على أنهما وحدة لا تنفصل.[١٦] فهي فلسفة من هذا القبيل، لأنها تجمع بينهما في وحدة لا تنفصل، وترجعهما إلى شيء واحد هو المطلق.[١٧]

ويعرفها (اليكسي ميكشيللي) بأنها مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي، والهُوية بالنسبة للفاعل الاجتماعي "مركب من العمليات والأطروحات المتكاملة التي تفسر العالم وتأخذ صيغة تعبيرية خاصة تطلق عليها النواة الهوياتية، وتضرب الهُوية الذاتية للفاعل الاجتماعي جذورها في غمار الإحساس بالهُوية الذي يمنح الكائن الاجتماعي التماسك والتوجه الدينامي على نحو شمولي.[١٨]

وبالنظر إلى التعريفات السابقة لمفهوم الهوية، نجد أنها تؤكد أن هوية الإنسان تمثل حقيقته التي تميزه عن إنسان آخر، وتتحد هوية الإنسان بشكل كبير نتيجة انتماءه سواء أكان هذا الانتماء قوميًا أو عرقيًا أو طائفيًا أو دينيًا أو غير ذلك. ويتجلى الانتماء في تحديد عناصر وخصائص محددة ومصطفاة

١٥ – الموسوعة الفلسفية العربية: معهد الإنماء العربي، المجلد الأول "الاصطلاحات والمفاهيم"، ط١، معهد الإنماء العربي مكتبة مؤمن قريش، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٨٢٢. مادة هوية.

١٦– المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية: مرجع سابق، صـ ١٤٠، مادة. فلسفة الهُوية .

١٧ – جميل صليبا: مرجع سابق، صـ ٥٢٩– ٥٣٢، مادة الهُوية .

١٨ – إليكس ميكشيللي: مرجع سابق، ص١٦٩.

بوعي أو بغير وعي لتعريف الإنسان ومن ثم تحقق نوعًا من التماسك والترابط على المستوى الفردي وعلى مستوى الجماعة.

ثانياً: القديس يوستينوس سيرته وأعماله:

يمثل القديس يوستينوس حضوراً جديداً ومؤثراً فى الكنيسة فى أوقاتها الباكرة. ومن مدلولات قيمته الكبيرة نتائج محاولاته وعطائه اللاهوتي. هادفاً إلى إيجاد فلسفة مسيحية حقيقية تعبر عن وحدة الحقيقة فى العالم ممثلة فى المسيحية. محاولاً مجابهة تحديات عصره والتى تمثلت فى عدة محاور رئيسة هى اليهودية والفلسفة اليونانية والغنوصية.(١٩)

ولد يوستينوس في فلافيا نيابوليس ١٠٠م (نابلس الحالية)، وهي مدينة ليست بعيدة عن سيخيم القديمة، والتي سميت تكريما للإمبراطور فيسباسيان. ونتيجة لذلك، كان سامريًا بالولادة على الرغم من أنه لا يوجد في كتاباته ما يشير إلى أنه كان على دراية بالتقاليد أو الدين السامري.(٢٠) فهو يسمي نفسه سامريًا، لكنه كان من أصل وثني، وغير مختون، ولم يعلم الكثير عن موسى والأنبياء قبل اهتدائه إلى المسيحية. وربما كان ينتمي إلى المستعمرة الرومانية التي أنشأها فيسباسيان في السامرة بعد الدمار. (٢١) درس الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية والأرسطية والرواقية ، ولم يجد الرضا إلا في الأفلاطونية. ثم تحول

---

١٩ – محمد زركان: أثر التفسير الرمزي المسيحي لنصوص العهد القديم على تقنين العقيدة "مقاربة فى تراث يوستينوس"، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص ٤. للمزيد انظر: https://nama-center.com/ تاريخ الزيارة: ٢٠٢١/١١/٤م.

20 - Saint Justin (Martyr): The First and Second Apologies, translated by Leslie William Barnard, Paulist Press, New York, 1997, p. 3.

21 - Philip Schaff: History of the Christian Church. Ante-Nicene Christianity. A.D. 100-325, vol 2, 1884,oxford university press, p. 712.

فيما بعد إلى المسيحية وأصبح مقتنعًا بالتوافق الأساسي بين العقيدة المسيحية والميتافيزيقا الأفلاطونية والأخلاق الرواقية.(٢٢)

وهو يمثل نوعًا رائدًا من المدافعين اليونانيين. فلم يهتم فقط بدحض الاعتداءات على المسيحيين؛ بل اهتم أيضًا بإظهار أن الفلسفة هي الحقيقة، والعقل قوة روحية، والمسيحية هي الحقيقة الكاملة. لم يكن يوستينوس مفكرًا بالمعنى التام للكلمة، إذا ما قورن بترتليان أو أوريجانوس أو القديس أوغسطين. ورغم صلاته المتعددة بكبرى المذاهب والمدارس الفلسفية، لا يمكن القول إنه أتقن الفلسفة والثقافة المعاصرتين تمامًا. ومع ذلك، تعد شهادته للمسيحية كفلسفة حقيقية هي واحدة من أهم الشهادات التي نشأت منذ القرن الثاني من للفكر المسيحي.(٢٣)

وقد ساهمت خلفيته الفكرية المستندة بالأساس على الفلسفة اليونانية في تحديد طابع كتاباته المصبوغ بتلك الصبغة اليونانية. حيث نجد إن افتراضاته الفكرية تلك كانت تتبع على الدوام من الكتاب المقدس وتقليد(*) الكنيسة. وفي

22 - Edward Lindberg: God and Nature: Historical Essays on the Encounter Between Christianity and Science, edited by David C. Lindberg, Ronald L. Numbersm University of California Press, U.S.A, 1986, p.23.

23 - Saint Justin (Martyr): op. cit, p. 3.

* تقليد: tradition، التقليد، ويقال له التراث أيضًا، هو تناقل الإيمان وحياة الكنيسة، وبالتالي تناقل صُلب المسيحية: فالكاثوليك والأرثوذكس يقولون بأن هذا التناقل= بقى في جوهره سليمًا متواصلاً، بفضل عون الروح القدس الدائم للكنيسة. وحديثًا تم التمييز بين التقليد المقدس الحي والتقاليد الخاصة بالكنائس المحلية.

انظر: الأب صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، مراجعة الأب جان كوربون، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٥١. مادة تقليد.

الوقت نفسه يعتبر القديس يوستينوس أول لاهوتي فى الكنيسة المبكرة استشعر أهمية وضرورة الفلسفة اليونانية التي كان قد فهمها بطريقة المدرسة الرواقية وبعض المؤثرات الأفلاطونية.(٢٤) من ناحية أخرى، ظل يوستينوس وفيا لمعلميه القدامى. واستمر في ارتداء عباءة الفيلسوف حتى بعد تحوله إلى المسيحية، وأكد أن المسيحية هي الفلسفة الحقيقية الوحيدة. مما أسهم بشكل ملحوظ لإيجاد وخلق نوع من الاستمرارية في تاريخه الروحي.(٢٥) فقد تعلّق فكريًا وظلت روحه وفية لحب الفلسفة – خاصة الأفلاطونية– لكن كمال حبه وتمام معرفته حصل مع اهتدائه إلى المسيحية، التي مثّلت عنده الحقيقة الكاملة.

ومن الجدير بالذكر أن القديس يوستينوس استخدم الفلسفة اليونانية أداة فقط وليس قاعدة للحق الذي آمن به. وبالتالي لم يحول الحق الإنجيلي إلى فلسفة، كما أنه لم يسئ فهم هذا الحق، لكنه حاول فقط التعبير عنه بلغة عصره بعد تحوله من الوثنية إلى المسيحية، والتي رأى فيها الحقيقة الكاملة والنهائية على حد وصفه. وهذا ما دفعه إلى التوضيح بالمقارنة الفرق بين تعليم الكنيسة وتعاليم المفكرين اليونانيين والشعراء لكي يُظهر بوضوح أن المسيحية هى الفلسفة الوحيدة الآمنة والنافعة.(٢٦)

---

٢٤ – القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى: ترجمة أ.آمال فؤاد، مراجعة مجموعة من المراجعين، ط١، دار باناريون، القاهرة، ٢٠١٢م، مقدمة الكتاب، صـ ١١.

25 - Alexander Viets Griswold Allen: The Continuity of Christian Thought: A Study of Modern Theology in the Light of Its History, Houghton, Mifflin, New York, 1893, p. 29.

٢٦ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، صـ ١٢.

وقد حُكم عليه بالإعدام من قبل روستيكوس حاكم روما حوالي ١٦٥ م في عهد ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م). ومن أسباب استشهاده، رفضه التضحية للآلهة وتقديم القرابين؛ ولذلك تم قطع رأسه، وانضم إلى القائمة المطولة لشهداء الإيمان.[٢٧] ولا شك أن يوستينوس الشهيد يستحق سمعته باعتباره "أهم مدافعي القرن الثاني" بسبب أفكاره الخلاقة عن المسيح باعتباره الكلمة الكونية وعن المسيحية كفلسفة حقيقية.[٢٨]

أما عن أبرز مؤلفاته: يذكر المؤرخ الكنسي الشهير يوسابيوس القيصري أن يوستينوس الشهيد، ترك عدة مؤلفات غاية في الأهمية وكانت جديرة بالدرس والنظر. ولكن أغلبها قد ضاع أو فُقد، وقد ذكر منها المهم والجدير بالدراسة – على حد قوله – ومنها ما يلي:

١- الدفاعان الأول والثاني الموجهان إلى الإمبراطور أنطونيوس.

٢- ضد اليونانيين.

٣- مؤلف آخر ضد اليونانيين، أُطلق عليه اسم " التفنيد".

٤- مؤلف عن "عظمة الله وسلطانه".

٥- كتاب " المزامير".

٦- بحث عن النفس.

٧- الحوار مع تريفون اليهودي.[٢٩]

27 - Eugene LaVerdiere: The Eucharist in the New Testament and the Early Church, Liturgical Press, U.S.A, 1996, p.170.

28 - Roger E. Olson: The Story of Christian Theology: Twenty Centuries of Tradition Reform, InterVarsity Press, U.S.A. 1999, p.59.

٢٩ – يوسابيوس القيصري: تاريخ الكنيسة، تعريب القمّص مرقس داود، ط٣، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ١٨٠، ١٨١.

ثالثًا: من الفلسفة اليونانية إلى الحقيقة المسيحية:

لمفهوم الهُوية تاريخ طويل يتجلى في كل مكان كعلاقة بين "نحن" و "هم". كل مجتمع له هويته الخاصة، والهُويات تربط الناس ببعضهم البعض وتحدد نظرتهم للعالم إلى حد كبير. ويمكن أن تكون الهُويات دينية، طائفية، عرقية، ثقافية، نفسية، سياسية، طبقية، وغير ذلك. فهي ليست ثابتة أبدًا، بل ديناميكية. فالعالم اليوناني القديم، على الرغم من اتحاده ثقافيًا وعرقيًا كان، في الوقت نفسه، مظهرًا واضحًا لـ" الوحدة في التنوع " حيث كانت المهمة الروحية والسياسية الرئيسية للفلسفة اليونانية التي يمثلها سقراط وأفلاطون وأرسطو هي تعزيز وتعميق وتقوية الهُوية الهيلينية بالكامل مقابل البقية. هذا فيما يتعلق بالعالم الخارجي أو الآخرين الذين أطلقوا عليهم البرابرة، أي ليسوا متحضرين – ومن ناحية أخرى، حاولوا احتواء الانقسام الداخلي والذي يعبّر عن الهُويات المحلية وتمثّل في محاولة التقريب بين الأثينيين والإسبرطيين.[٣٠]

والحال بالمثل فيما يتعلق بالمسيحية المبكرة، فقد كان على الدين المسيحي –لكي يكون قادرًا على التغلب على الوثنية المحتضرة وسط تكاثر مرضي لأيديولوجيات غريبة، ولكي يكون في وسعه، من جهة أخرى، أن ينافس تعاليم الرواقيين، أو الأبيقوريين الفلسفية – كان عليه أن يتمكن من حيازة عقيدة واضحة ودقيقة. لا بل كان يلزم ذلك؛ لأجل الحفاظ على إيمان أولئك المسيحيين الأوائل الذين خيّب آمالهم الانتظار العبثي لملكوت الله الذي بشّر به الإنجيل

30 - Sonia Sikka, Bindu Puri, Lori G. Beaman: Living with Religious Diversity, 144.

على أساس أنه وشيك جدًا، فضلاً عن عدم تكوين بنية فوقية لاهوتية على تعاليم يسوع والرسل من قبل الآباء الرسوليون، وهي تعاليم كانت لاتزال منقوصة جدًا على صعيد مبادئ الإيمان، حتى في إنجيل يوحنا ورسائل القديس بولس.(٣١)

ومن منطلق أن كل أمة تحاول تعزيز وتعميق الهُوية والانتماء الجمعي لأتباعها. نبحث هنا في هذا العنصر عن الدور الذي لعبته المسيحية في تلبية الحاجات الأساسية للفرد وتدعيم وتعزيز مفهوم الهُوية في وقتها المبكّر، رغم سيطرة النزعة الفلسفية العقلية علي تفكير الأشخاص آنذاك باعتبار العقل هو الوسيلة الرئيسة المطلقة للبحث عن الحقيقة. وكيف ساهمت المسيحية ممثلة في أشخاص مثل يوستينوس والمدافعين في إعطاء معنىً للحياة، وكبح جماع الغرائز الإنسانية، وتصوير الحقيقة علي أنها حكر على المسيحية فحسب وليس غيرها؟ وكيف أعطت المسيحية لنفسها الشمولية التي تتلاشى بداخلها الخصوصيات الفردية لتندمج فيها وتمثل هوية موحدة لجميع معتنقيها؟.

وقد دفع ازدياد عدد المقبلين على المسيحية من خلفيات دينية متنوعة. إلى تنامي الإشكالات الخاصة بالإيمان المسيحي. كما دفع أيضًا تحول بعض الفلاسفة والمثقفين الوثنيين إلى المسيحية. بُغية البحث عما يروي الظمأ المعرفي والروحي لهذه الفئة من المجتمع. إلى طرح أسئلة أكثر عمقًا حول طبيعة اللاهوت المسيحي. دون أن نغفل كذلك عن أثر السياق التاريخي والاجتماعي

٣١ – ج. ويلتر: الهرطقة في المسيحية: ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م، ص ص ٤٦، ٤٧.

الذي انتشرت فيه المسيحية. المتسم بتنوع الأفكار والمعتقدات الدينية. على ظهور كتابات دفاعية لآباء الكنيسة أو الآباء الرسوليين. يحاولون من خلالها توضيح أسس الديانة الجديدة. وشرح تصورهم عن طبيعة مهمة السيد المسيح على الأرض. إضافة إلى الردود على ما عدوه هرطقات يهودية ومسيحية ووثنية. ويعد يوستينوس من بين أهم آباء الكنيسة فى العصر الرسولي الأول. أي ما قبل مجمع نيقية، الذين برزوا فى فترة تقنين العقائد. وإرساء معالم الدين الجديد، وجمع شتات الجماعات المسيحية المتفرقة.(٣٢)

وإذا كان معنى الهُوية عند البعض يُفيد بأنها "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق الجزئية؛ فإننا نجد يوستينوس ينطلق من هذا المعنى محاولاً إرساء دعائم هوية مسيحية حقيقية، اعتمادًا علي أن الفلسفة أو الحكمة السابقة علي المسيحية رغم كونها حقائق ساعدت السابقين في الوصول إلى المعرفة – لكنها تظل حقائق جزئية غير مكتملة –، ومن يرغب في إدراك الحقيقة الكاملة التي تساعده في إدراك هويته الحقيقية فعليه باتباع المسيح (الكلمة – اللوغوس) الذي ظهر وتجسد ليُرشد الإنسان ويوجهه إلى كمال هويته الحقيقية الممثلة في المسيحية. ورغم تعلقه الشديد بالفلسفة وخاصة الأفلاطونية؛ فقد ظل وفيًا للمسيحية وتعاليمها التي وجد ضالته فيها.

وما يستوقف القارئ عند اطلاعه على مؤلفات يوستينوس، هو حبه الكبير للفلسفة. فهو فيلسوف ومحاور من الدرجة الأولى. فحتى بعد اعتناقه المسيحية

٣٢- محمد زركان: أثر التفسير الرمزي المسيحي لنصوص العهد القديم على تقنين العقيدة "مقاربة فى تراث يوستينوس"، مركز نماء للبحوث والدراسات، ص ٤.

لم يترك الفلسفة جانباً، بل ذهب بعيدًا إلى حد اعتباره المسيحية نفسها الفلسفة الوحيدة والضرورية للخلاص، مرتديًا زيّ فلاسفة اليونان، وجاعلاً من مدرسته الفلسفية التى أسسها في روما منطلقًا للحوار الفلسفي العميق، ضمن إطار المسلمات المسيحية التي كان يعود إليها فى كل ما كتب.(٣٣)

فقبل أن يصبح مسيحيًا قام بدراسة جميع التيارات الفلسفية، متوقفًا بنوع خاص عند أفلاطون الذي اعتبره المعلم الأول دون منازع، حتى اهتدائه إلى المسيحية. وتأكيدًا على تعلقه بالفلسفة والفلاسفة؛ فإنه كان دائمًا يحاول أن يشرح لتلاميذه كيف أن حكماء اليونان كانوا مسيحيين دون علم منهم. إنهم كانوا يبحثون عن الحقيقة، وبنوع خاص عن الإله الواحد، الأمر الذي ظهر واضحًا في فلسفة أرسطو، وقبله في فلسفة سقراط وأفلاطون. لذلك نراه دائمًا يقارن بين المسيحية والفلسفة، معتبرًا حتى أن أجمل ما نقرأه عند الفلاسفة الوثنيين مأخوذ عن توراة موسى.(٣٤) حيث يقول يوستينوس في هذا الإطار: "إن موسى أقدم من جميع الكتاب اليونانيين، كما أنه مهما كانت أقوال كل من الفلاسفة والشعراء عن خلود النفس أو العقاب ما بعد الموت أو التأمل فى الأمور السماوية، أو ما يشبه هذا من تعاليم، فقد حصلوا على مثل هذه التلميحات من الأنبياء؛ لأنها قد

٣٣ – الأب جورج رحمه: موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ " يوستينوس الروماني – أثيناغورس الأثيني"، ط١، منشورات المركز الرعوي للأبحاث والدراسات، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٥٣.

٣٤ – الأب جورج رحمه: مرجع سابق، ص ٥٤.

مكنتهم من أن يفهموا هذه الأمور ويفسروها. ومن ثم، يبدو أن هناك بذارًا للحق منتشرة بين جميع الناس".[٣٥]

غير أن دعوى الوحي الجزئي هذه لا تتماشى إلا بصعوبة وعسر مع دعوى أخرى يمكن أن يكون يوستينوس وجدها لدى اليهود من مريدي فيلون، ومؤداها أن أفلاطون والرواقيين كانا من تلامذة موسى. والقاسم المشترك بين هاتين الدعوتين هو المجهود الرامي إلى الاهتداء إلى قدر من الوحدة في الفكر البشري، يعكس وحدة الكلمة. وينبغي أن نضيف على كل حال أنه كان يسلك مع اليهود عين مسلكه مع اليونان، فيسعى إلى المماهاة بين المسيح وبين لوغوس الكتب اليهودية، وإلى المماثلة بينه وبين ابن الرب وحكمته ومجده.[٣٦]

وقد هدف يوستينوس من ذلك إثبات هوية مسيحية مستقلة تفوق نظيراتها من الفلسفات أو الديانات المعاصرة لها، محاولاً إيجاد نوع من الوحدة والمطابقة بين العقل والوحي، تمثّل فقط في المسيحية من وجهة نظره.

وما يفيد هذا الإدعاء اليوستيني هو عدم عمق معرفة يوستينوس بأفلاطون بل وسطحية تلك المعرفة؛ فصحيح أنه كان مطلعًا شيمته في ذلك شيمة منظري الأخلاق الرواقيين في عهد الإمبراطورية، على دفاع سقراط وأقريطون وفيدروس وفيدون من محاورات أفلاطون، ولكنه كان يجهل محاوراته الجدلية ويبوىء مكانة الصدارة محاورة تيماوس خالطًا بين قصتها وبين قصة الخلق في سفر التكوين،

٣٥ – القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى: مصدر سابق، الدفاع الأول– الفصل ٤٤، ص ٧٠.

٣٦ – اميل برهييه : تاريخ الفلسفة "الجزء الثانى" الفلسفة الهيلينستية والرومانية "، ترجمة / جورج طرابيشى، دار الطليعة، ط٤، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٠٣.

صنيع ما فعل من قبله فيلون السكندري؛ فكل العلم الذي استقاه من تيماوس أن "الله خَلق بطبيعته من مادة عديمة الشكل كل شيء أولاً برسم بني الإنسان". فخلط على هذا النحو بين حب الله عند اليهود للإنسان وبين طبيعة الإله الفاطر عند الأفلاطونيين. وعلى هذا النحو صيغة فكرة أفلاطون المسيحي في التاريخ.[٣٧]

ولم يكتف يوستينوس بذلك بل ذهب يدعو الفلاسفة وكل محبي الحقيقة أن يتخلوا عن معتقداتهم الزائفة – من وجهة نظره – وأن يتبعوا الحقيقة الكاملة التى ظهرت، بكل وضوح في تعاليم المسيح، حيث يقول فى دفاعه الأول:" إن الحكمة تملى على الأتقياء والفلاسفة الحقيقيين أن يكرموا ويعتزوا فقط بما هو حق وأن يرفضوا اتباع معتقدات أسلافهم إذا كانت هذه المعتقدات بلا قيمة؛ لأن الفكر السليم يقتضي ليس فقط ألا نتبع من يخطئون بالعمل أو التعليم بل يتطلب أيضًا من محب الحق أن يعمل ويقول ما هو حق".[٣٨]

ويذكر يوستينوس أنه حتى عندما حاول الفلاسفة توجيه الناس لمعرفة الحق كان هذا بمساعدة اللوغوس (المسيح) وكمثال على ذلك نجده يقول:" وعندما حاول سقراط تعريف الناس بتلك الأمور على أساس الحكمة الحقيقية والبراهين المؤكدة قام هؤلاء الشياطين أنفسهم بتدبير قتله بواسطة أناس يسعدون بالشر وحكم عليه بالموت كشخص ملحد وشرير؛ لأنه حسب ادعائهم نادى بآلهة جديدة. والآن هم يسعون لعمل الشيء نفسه بنا. ولم يُدن اللوغوس هذه الأمور

٣٧ - اميل برهييه: مرجع سابق، ص ص ٣٠٣، ٣٠٤.

٣٨ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، الدفاع الأول– الفصل ٢، ص ٢٨.

بين اليونانيين فقط بل أيضًا أدانها اللوغوس ذاته بين الشعوب البربرية بطريقة محسوسة وملموسة فى شخص يسوع المسيح الذي أصبح إنسانًا.(٣٩)

وبذلك يدعي يوستينوس سمو التعاليم المسيحية علي كافة التعاليم الأخرى: " لا شك أن تعاليمنا أسمي من كل تعاليم البشر لأن اللوغوس الكامل هو المسيح الذي ظهر علي الأرض لأجلنا، أي هو اللوغوس الذي صار جسدًا ذا نفس عاقلة، وجميع ما اكتشفه الفلاسفة والمشرعون وعبروا عنه تعبيرًا جيدًا كان بفضل اكتشافهم وتأملهم لجزء ما من اللوغوس".(٤٠)

هذه الأفكار التي بشر بها يوستينوس، والتي تؤكد على أن "الكلمة الإلهي" هو الذي أوحى بأفضل ما كُتب فى الفكر البشري، وخصوصًا عند فلاسفة الإغريق، كانت الحافز لكثير من المفكرين والفلاسفة ليقيّموا إنتاج العقل البشري من منظور مسيحي، وليؤكدوا على أن الله واحد للجميع، سواء كلم الإنسان بواسطة الوحي أو بواسطة العقل.(٤١)

وما نستنتجه من ذلك هو وحدة الحقيقة سواء كانت تلك الحقيقة مستمدة من العقل، كما هو الحال في الفلسفة اليونانية أو عند من امتلكوا جزءا من الحكمة من السابقين على المسيحية، أم كانت تلك الحقيقة مستمدة من الوحي الإلهي المعلن بواسطة اللوغوس (المسيح) المتجسد، هو انتماء الحقيقة في النهاية إلي حقل المسيحية وحدها. وهذا إن دل فإنما يدل على

٣٩ – المصدر نفسه: الدفاع الأول– الفصل ٥، ص ٣٢.

٤٠ – المصدر نفسه: الدفاع الثاني– الفصل ١٠، ص ١١٦.

٤١ – الأب جورج رحمه: مرجع سابق، ص ٥٦.

انتماء القديس يوستينوس إلى المسيحية – رغم ما تمتع به من تفكير فلسفي ناقد – وانحيازه الكامل إلى المسيحية، ونفيه امتلاك الحقيقة لإي ثقافة أو فكر أو حتى أمة أخرى بخلاف المسيحية.

رغم ادعاءه المستمر على تقديره واحترامه للحقيقة التي بحث عنها بل وأدرك جزءًا منها بعض فلاسفة الإغريق، وهذا نابع من قناعاته الشخصية على أن كل حقيقة تُقال على لسان أي إنسان في هذا العالم هي حقيقة مسيحية، عرف ذلك قائلها أو لم يعرف. وثبات هذه الحقيقة عبر التاريخ لم يكن لو لم يرد ذلك "الكلمة الإلهي" المتجسد في يسوع المسيح. ولكن المسيحيين وحدهم الذين يؤمنون بالعقل وبالوحي على السواء، كانت لهم المعرفة الحقيقية بهذا الأمر، والجرأة الكاملة لإعلان اعتقادهم أمام البشرية جمعاء. فالحقيقة هى في متناول يدهم كاملة دون انتقاص، أعلنها لهم المسيح وقدم نفسه فداءً من أجل خلاص البشرية التى جاء ليعيدها إلى الشراكة مع الله.(٤٢)

وفي هذا السياق أيضًا يذكر يوستينوس أن الفلسفة لم تأت إلا بحقائق جزئية، وليس الحقيقة الكاملة التي نراها في الكتب المقدسة. فحكماء الإغريق لم يوصلونا إلى المسيحية، بل كُتب الأنبياء هى التي هيأتها وأوصلتنا اليها.(٤٣) وبهذا المعنى يقول فى الدفاع الأول:" إن الروح النبوية التي كانت موجودة في أنبياء الله من اليهود تنبأت عن أحداث سوف تحدث قبل أن تحدث بالفعل، واحتفظ ملوك يهوذا المتعاقبين بأقوال هذه النبوءات في حوزتهم بحرص كما قيلت

٤٢ – الأب جورج رحمه: مرجع سابق، ص ٥٧.

٤٣ – نفس المرجع: ص ٥٩.

في وقت التنبؤ بها باللغة العبرية، وكانت مدونة في كتب الأنبياء أنفسهم. التي نجد فيها نبوات عن مجئ مسيحنا يسوع متأنسًا ومولودًا من عذراء، وشفائه لكل مرض وسقم، وإقامته للموتى، وكراهية اليهود له، وعدم اعترافهم به، وعن صلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماوات. وإرساله أناسًا إلى كل الشعوب لتبشيرهم بهذه الأمور، وأيضًا أن الأمميين سوف يؤمنون به أكثر من اليهود.(٤٤)

وكل ما نطق به الفلاسفة وحتى الأنبياء من حقائق كانت بوحي وإلهام من الكلمة الإلهى (اللوغوس) – من وجهة نظر يوستينوس – :" وعندما تستمعون إلى نبوات يتم النطق بها عن طريق شخص ما من الأنبياء، فلا تظنوا أنه نطق بها من تلقاء نفسه، بل من خلال كلمة الله الذي يحركه.(٤٥)

وإذا كان يوستينوس قد حاول إثبات عدم أحقية الفلسفة اليونانية في امتلاك الحقيقة بل وعجزها عن امتلاك الحقيقة المطلقة الشاملة، فما ذلك إلا نوع من صراع الهُويات فهو يحاول إثبات أن الهُوية اليونانية المعتمدة بالأساس على المعرفة العقلية هي هوية غير مكتملة بل ويشوبها النقص؛ لأن من يمتلك المعرفة الكاملة فقط هو من يملك هوية حقيقية وهم أتباع المسيح اللوغوس منبع ومنشئ ومصدر جميع الحقائق.

رابعًا: وساطة المسيح (اللوغوس):

ترتكز تعاليم القديس يوستينوس عن الكلمة اللوغوس الواسطة بين الله والإنسان بالأساس على تصوره عن الله الأب وعلاقته بالإبن؛ فالله لا بداية له؛

٤٤ – القديس يوستينوس: الدفاع الأول– الفصل ٣١، ص ص ٥٨، ٥٩.

٤٥ – القديس يوستينوس: الدفاع الأول– الفصل ٣٦، ص ٦٥.

ولذلك فهو أب للجميع، غير مولود ليس له اسم؛ وكل التسميات سوآء أب، إله، خالق، رب هي ليست أسماء بل ألقاب متخذة من أعماله الصالحة ووظائفه. ولقب أب ليس اسماً بل هو مغروس في طبيعة البشر عن أمر يصعب جداً شرحه أفضل اسم لله هو أب؛ لأنه بسبب كونه الخالق فهو بالحقيقة أب الكل.(٤٦)

يقول يوستينوس:" لأن الآب غير الموصوف ورب الكل لا يأتي إلى أي مكان ولا يمشي ولا ينام ولا يقوم، بل يظل على الدوام فى مكانه أينما كان هذا المكان. فالله في نظر يوستينوس مفارق ومختلف تماماً عن أي شيء مادي أو عن أي شيءٍ يُمكن أن تتصوره العقول. وهذا يُعد إشارة واضحة إلي الاتجاه الذي ينادي بتنزيه الخالق وعدم تشبيهه بمخلوقاته وهو ما يُعرف بـ "اللاهوت التنزيهي"(Apophatic theology)، أو "اللاهوت السلبي negative)" (theology، متماشيًا مع وجهة نظر آباء القرن الثاني المسيحي، **فبيّن تسامي الله وتعاليه، أي أننا لا نستطيع أن نقول "من هو الله" لكي لا نحّده بما نقول، وبالتالي نقول ما ليس الله، فننفي عنه ما ليس هو** .يقول: "إنّ أبا الجميع الذي لم يُولد لم يُعطَ اسماً، لأنّه مهما كان الاسم الذي يدعى به، **يظل المُسمّى أكبر من التسمية. فالألفاظ أب وإله وخالق وسيّد ليست أسماء، وإنّما هي ألقاب مأخوذة من أعماله الخيّرة ومهمّاته. واللقب "الله" ليس اسماً بل رأي غرس في طبيعة البشر عن الشيء الذي لا يفسّر.**(٤٧) ونظراً لسمو الله وتعاليه عن

٤٦ – نفس المصدر: مقدمة الكتاب، ص ص ١٦، ١٧.

٤٧ – أسد رستم: آباء الكنيسة، ط٢، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٩٠م ص ٦٨.

عالمنا البشري المحدود، فلابد من الوصل بينه وبين الإنسان عبر الهوة السحيقة التى كانت تفصلهما. وهذا ما فعله الكلمة فهو الوسيط بين الله الأب وبين العالم. والله يتصل بالعالم به فقط. وهكذا فإن الكلمة هو الطريق الحق إلى الله وهو معلم الإنسان.(٤٨)

وما يدل على تمسك يوستينوس بنصوص الكتاب المقدس تلك الاستشهادات ومنها: في البدء خلق الله السموات والأرض" (تكوين ١:١). " و"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع الله، وإلهًا كان الكلمة" (يوحنا ١:١). "الذي به كان كل شيء، وبغيره لم يكن شيء مما كوّن" (يوحنا ١: ٣). "الذي به نحيا ونتحرك ونوجد"(أعمال ١٧: ٢٨). كل الأشياء خُلقت بالكلمة، يسوع المسيح، الأقنوم الثاني. به خلق الله الآب كل الأشياء في الروح القدوس. كل الأشياء خُلقت بالكلمة، كما لو كان الصلة الإلهية، أو النبع الذي تتدفق منه النبضات الخلاقة، أي الكلمات الخاصة بالخلائق. وهو الذي يحوي هذه الكلمات، وبالتالي فهو المركز الذي باتجاهه تتجه كل خليقة.(٤٩) وقد ورد ذلك في الرسالة إلى أهل كولوسي: "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. ١٦فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا

٤٨ – نفس المرجع: صـ ٦٩.

٤٩ – د. عدنان طرابلس: الرؤية الارثوذكسية للإنسان "الأنثروبولوجيا الصوفية"، منشورات النور، بيروت، ١٨٨٩م، ص ص ٣٦، ٣٧.

أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. [١٧]الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ [١٨]."(٥٠)

ويتابع يوستينوس ما ورد في الكتاب المقدس ويذكر ذلك قائلاً :" ولكن ابن الله هو وحده الذي يُدعى بالحقيقة ابنه، وهو الكلمة الذي كان معه أي مع الله الآب والذي وُلد منه قبل كل المخلوقات والذي به فى البدء خلق ودبّر الله الآب كل الأشياء.(٥١) ويقول أيضًا:" ولا أي إنسان رأى الآب غير الموصوف ورب كل الخليقة ورب المسيح ذاته. ولكنهم قد رأوا ابن الله، الملاك الذي خدم إرادة الآب ومشيئته.(٥٢) ولذلك فالله لا يتصل بالعالم إلا عن طريق اللوغوس، فهو الوسيط الذي عن طريقه يُعلن الله ذاته. وفي شرحه لأصل اللوغوس يرى يوستينوس أن اللوغوس كان ساكنًا فى الله كقوة، وهذه القوة انبثقت أو خرجت من الله قبل الخليقة. ولقد قام اللوغوس بعملية الخلق.(٥٣) كما يرى يوستينوس أن ما جاء فى سفر (التكوين ١:٢٦) نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا هو حوار يقدم لنا الله كمن يتكلم مع آخر (اللوغوس).(٥٤)

ولوصف كيفية صدور المسيح الكلمة عن الله الخالق يُعطي يوستينوس أمثلة كثيرة على ذلك منها قوله:" فنحن البشر عندما ننطق بكلمة نستطيع أن نقول إننا

٥٠ – القديس بولس: الرسالة إلى أهل كولوسي: ١: ١٥– ١٨.

٥١ – القديس يوستينوس : مصدر سابق، الدفاع الثاني– الفصل ٦، ص ص ١١١، ١١٢.

٥٢ – المصدر نفسه: الحوار مع تريفون – الفصل ١٢٧، ص ص ٣٠٣، ٣٠٤.

٥٣ – القس حنا جرجس الخضري: تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر الأجيال، المجلد الأول، دار الثقافة، القاهرة، ص ص ٤٤٩، ٤٥٠.

٥٤ – أ. عادل فرج: موسوعة آباء الكنيسة، ج ١، دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ص ٢٢٨.

نلد الكلمة، لكن ليس بعزلها عنا، بمعنى أن قدرتنا على نطق الكلام سوف تزول، ونحن نلاحظ مثلاً مشابهاً في الطبيعة عندما تبدأ نار فى إشعال نار أخرى دون أن تفقد النار الأولى شيئاً بل تظل كما هى. وتظل النار التى تم إشعالها قائمة بذاتها ومضيئة دون أن تنقص من وهج النار الأولى".(٥٥) ومن منظور يوستينوس الإيماني العقيدي، أن الكلمة "اللوغوس" هي روح الله الموجودة مسبقًا – إله ثان – الذي تجسد في يسوع المسيح. وهكذا أصبح يوستينوس من أوائل المسيحيين الذين شرحوا مفهوم الكلمة والروح فيما يتعلق بالآب باستخدام تشبيه النار. حين أخبر تريفون اليهودي أن صدور الابن (الكلمة) من الآب لا يقلل بأي شكل من الأشكال من الآب؛ لأنه مثل النار المشتعلة من النار، "ما يمكن أن يشتعل منه الكثيرون لا ينقص بأي حال من الأحوال، لكنه يظل كما هو.(٥٦) والمسيح اللوغوس هو الوسيط الذى جاء لسد الفراغ بين الله والإنسان. فالله فوق الوصف ولا يمكن إدراكه ويتجلى عمله في عالمنا من خلال المسيح الكلمة الواسطة الذي من خلاله يعلن الله ذاته لمخلوقاته. إن اللوغوس هو الذي يشكل الكون، وهو الوسيط الذي ظهر لإبراهيم وموسى، والذي يمنح معرفة الله للبشرية جمعاء من خلال منح الناس نصيبًا في طبيعة الله العقلانية. يصبح مفهوماً، إذن، أن الكلمة هي التي، في شخص يسوع، تتجسد للتغلب على قوى اللاعقل الشيطاني وفتح الطريق أمام حياة جديدة للبشرية.(٥٧)

---

٥٥ – القديس يوستينوس: المصدر السابق، الحوار مع تريفون، الفصل ٦١ ، صـ ٢١٦.

56 - Roger E. Olson: The Story of Christian Theology: Twenty Centuries of Tradition Reform, p.59.

57- Richard Alfred Norris: The Christological Controversy "Sources of Early Christian thought", Fortress Press, U.S.A, 1980, P.7.

لقد تحدث يوستينوس عن اللوغوس كأنه موجود داخل الله، فهو يشبهه بعقل الله، وهو فى الحقيقة اقترح أنه كان هناك وقتًا عندما كان الله وحيداً بعيدًا عن عقله أو فكره داخل نفسه. لقد كان هناك وقت عندما نطق الله فكره، وأتى اللوغوس إلى الوجود خارج الله، ككلامه أو كلمته.[٥٨] ويؤكد يوستينوس على أن هذه العملية لم تشتمل على التقليل من قدر الله بأي حال فعندما نتحدث فإننا لا نفقد الأفكار التي نعبر عنها.[٥٩] ولقد طوّع يوستينوس ذلك المبدأ الرواقي الذي ينص على مشاركة البشر مع العقل الإلهي خالق ومدبر الكون ، وبمعنى آخر أن اللوغوس هو الذي يعبّر عن مبدأ العقلانية والتناسق المحكم الذي يسري على الوجود بكليته. وهذه المشاركة العقلانية التي يخبرنا عنها يوستينوس ما هي إلا تأثير أرسطي رواقي في الوقت نفسه، وهذا إن دل إنما يدل على قدرة يوستينوس على انتقاء المفاهيم الواردة في الفلسفة اليونانية بعناية. وقد حاول تطويعها مع معطيات نظرته المسيحية عن اللوغوس وكيفية صدوره عن الله بطريقة عقلانية منظمة، فهو إلى جانب اعتماده على مضمون الوحي استعان بالعقل؛ لإقناع أتباع المسيحية في شتى بقاع الأرض –رغم انتماءاتهم وخلفياتهم الفكرية المتنوعة– لتحقيق نوع من الوحدة والالتفاف حول المسيحية، بُغية توطيد وتدعيم الهوية المسيحية ممثلة في اللوغوس الوسيط مانح المعرفة والعلم الإلهيتين.

٥٨ – جوناثان هيل: تاريخ الفكر المسيحي، ترجمة سليم اسكندر، مايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم، ط١، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٢٠.

٥٩ – جوناثان هيل: مرجع سابق، ص٢٠.

ويزداد تأثير الفلسفة اليونانية خاصة المدرسة الرواقية على تفكير يوستينوس حين يتطرق لوصف الوظيفة الإلهامية للوغوس في مذهبه الشهير عن"اللوغوس بالبذار" ، والذي يكشف درجة ووظيفة اللوغوس في عملية الخلق. تنص تلك العقيدة على أن اللوغوس قد كشف حقيقة الله ، ليس فقط لليهود، ولكن لجميع البشر بحكم إنسانيتهم على ما يبدو. على سبيل المثال ، على الرغم من أن الفلاسفة اليونانيين لم يعرفوا المسيح، إلا أن إنسانيتهم سمحت لهم بالوعي بالحقائق الجزئية التي تتماشى بطرق معينة مع الحقيقة المعلنة للكتاب المقدس. حيث يذكر يوستينوس، "أن كل شخص تحدث بشكل صحيح بعد أن فهم ما كان مرتبطًا به، وفقًا للجزء المقدم فيه من الكلمة الإلهية؛ لأن جميع الكتاب كانوا قادرين على رؤية الحقائق في الظلام، من خلال وجود بذرة اللوغوس المغروسة فيهم. كما يذكر في مكان آخر بأن أولئك الذين ينتمون إلى المدرسة الرواقية؛ لأنهم كانوا قادرين على الأقل في تعليمهم الأخلاقي، كما كان الشعراء أيضًا في بعض الأوجه، على تقرير أن بذرة اللوغوس مغروسة ومزروعة في كل البشر.[٦٠]

تشير هذه المقاطع إلى أن اللوغوس كشف جزءًا من الحقيقة لجميع البشر – فالكلمات مزروعة حرفياً في كل إنسان. ومع ذلك، فإن اللوغوس المزروع موجود جزئيًا فقط في البشرية باعتباره `` بذورًا ". هذه البذور، كما يشرح ريتشارد نوريس، "تلك المفاهيم الأخلاقية والدينية الفطرية التي تمثل

[60] - Jackson Lashier: Irenaeus on the Trinity, BRILL, Netherlands, 2014,. p. 104.

مخزونا مشتركًا من الأفكار الإنسانية الخيّرة." في حين أن بذور اللوغوس المزروعة هى التي مكنت الفلاسفة من بلوغ الحقيقة، يعتقد يوستينوس أن عدم إدراك طبيعة اللوغوس بطريقة كاملة داخل الإنسانية هو السبب في الأخطاء والخلافات والتناقضات الموجودة بين المدارس الفلسفية المختلفة. على النقيض من ذلك ، تلقى المسيحيون اللوغوس الكامل في شخص يسوع المسيح. يقول يوستينوس، "ما لدينا ، إذن ، يبدو أنه أعظم من كل تعليم بشري؛ لأن المبدأ العقلاني كله أصبح المسيح، الذي ظهر من أجلنا جسدًا وعقلاً ونفسً. لذلك، لا يخطئ المسيحيون مثل الفلاسفة؛ لأنهم التقوا وعرفوا الكلمة في شخصه الكامل التام.(٦١)

وهكذا يعطي يوستينوس إثباتًا ميتافيزيقيًا لوجود عناصر الحق في الفلسفة الوثنية، لكنه بالإضافة إلى هذا لديه أيضًا إثبات تاريخي. فالفلاسفة الوثنيون قد نطقوا بالكثير من الأقوال الصحيحة؛ لأنهم كانوا قد استعاروها من أدب اليهود، من العهد القديم(٦٢): حيث يقول "إن موسى أقدم من جميع الكتاب اليونانيين، كما أنه مهما كانت أقوال كل من الفلاسفة والشعراء عن خلود النفس أو العقاب ما بعد الموت أو التأمل فى الأمور السماوية، أو ما يشبه هذا من تعاليم، فقد حصلوا على مثل هذه التلميحات من الأنبياء؛ لأنها قد مكنتهم من أن يفهموا هذه الأمور ويفسروها. ومن ثم، يبدو أن هناك بذارًا للحق منتشرة بين جميع

61 - Jackson Lashier: op.cit, p. p. 104. 105.

٦٢ – جوهانس كواستن: علم الآبائيات "باترولوجي" المجلد الأول بدايات الأدب الآبائي"، ترجمة وتقديم أنبا مقار، ط١، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٢٣٤.

الناس".(٦٣) لكن المسيحيين وحدهم هم الذين يمتلكون الحق الكامل؛ لأنه في المسيح يتجلى الحق بذاته.(٦٤) ويفترض يوستينوس أن اللوغوس الإنساني يأتي من اللوغوس الإلهي. وهذا هو السبب في أن كل شخص عاقل هو فقط بسبب مشاركته للوغوس. لقد تم استقاء هذه الفكرة على نحو واسع من الرواقية، الذين يؤمنون بنفس الشيء. ونتيجة لهذا فإن يوستينوس يمكنه توضيح إمكانية أولئك الذين يعيشون تبعًا للمنطق والعقل أن يتشاركوا مع اللوغوس ويلمحوا شيئًا من الحقيقة. وهذا هو السبب فى أن الفلسفة، حتى الوثنية، هى ذات شأن.(٦٥)

وهنا نجد أن نظرية يوستينوس في "اللوغوس ذات الأصول البذرية logos spermatikos " تعتمد على تقاليد فلسفية متميزة ومتكاملة. تتمثل في شقين:

أولا: الإطار الأفلاطوني للمشاركة في الخير والرغبة الطبيعية في معرفة الحقيقة والجمال والوحدة، ذلك النسق الأفلاطوني الموصوف بأنه "لا يختلف اختلافًا جذريًا عن المسيحية ولكن ليس مطابقًا لها. **ثانيًا:** نفس" النظرية الرواقية القائلة بأن بلوغ ومعرفة الحقيقة تشترط على الشخص أن يعيش الحياة بطريقة مستقيمة وفاضلة وفكرة وجود مجموعة واحدة من القوانين الطبيعية العالمية. طور يوستينوس هذين التقليدين الفلسفيين في اتجاه مسيحي واضح من خلال القول بأن الكلمة المتجسد هي التي تعمل فينا من جهة، وعلى نحو موازٍ، تزرع بذور الكلمة الإلهية في أذهاننا. وهنا نجد يوستينوس على عكس ديكارت، لا

٦٣ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، الدفاع الأول– الفصل الرابع والأربعون، ص ٧٠.

٦٤ – جوهانس كواستن: مرجع سابق، ص ٢٣٤.

٦٥ – جوناثان هيل: مرجع سابق، ص ٢٢.

يقترح أن العقل البشري يحقق معرفة الله بناءً على أفكار فطرية. بدلاً من ذلك، فإن عمل الكلمة داخل كل مخلوق ذكي هو الذي يمكننا من معرفة الله.(٦٦)

وكما ذكرنا فقد اعتقد يوستينوس أن المسيح هو اللوغوس الكامل، الذي امتلك جميع الأشخاص بداخلهم بذرة منه. وهذه البذرة هي التي مكنت فلاسفة الماضي من رؤية الحقيقة بصورة جزئية. لكن الجديد في مفهوم يوستينوس عن اللوغوس بالبذار أو اللوغوس المخصّب هو أنه جمع بين التفسير الروحي والفكرة القائلة بأن وجوده داخل الإنسان يعطي لمحة عن الحقائق الإلهية. وفي الوقت نفسه، فإن فهمه للمسيح باعتباره اللوغوس الذي يكشف الحقيقة الكاملة للإنسان يجعل من نظريته هذه نظرية محكمة في مجملها.(٦٧)

وفي ذلك يقول يوستينوس:" وأنا أعترف بأنني أصلّي وأجاهد بكل قواى لكى أُعرف كمسيحي ليس لأن تعاليم أفلاطون تختلف عن تعاليم المسيح، بل لأنها ليست متشابهة معها في كل شىء، وكذلك بالنسبة لتعاليم الآخرين مثل الرواقيين والشعراء والمؤرخين، فكل واحد من هؤلاء من خلال اشتراكه في بذرة اللوغوس الإلهي وما يتعلق به تكلم حسنًا جدًا. ويستطرد مؤكدًا أن الحقيقة الكاملة فقط هى الحقيقة المسيحية نافيًا عن أي أمة أخرى امتلاك تلك الحقيقة الكاملة حيث يقول يوستينوس:" أما الذين ناقضوا أنفسهم في الأمور الهامة فلم يكتسبوا الحكمة السماوية والمعرفة القاطعة التى لا تقبل الجدل. إن الحقائق التى تحدث عنها

66 - Adrian Pabst: Metaphysics: The Creation of Hierarchy, Wm. B. Eerdmans Publishing, 2012, U.S.A, p.p. 61. 62.

67 - Emily Jane Hunt: Christianity in the Second Century: The Case of Tatian, Routledge, London and new york, 2003, p. 70.

أُناسًا من كل البلاد تنتمي إلينا نحن المسيحيين. ويقول أيضًا:" إن جميع الكُتاب كان لهم قبس من الحقيقة بواسطة بذرة الكلمة المغروسة فيهم.(٦٨)

ولقد ذهب يوستينوس إلى أبعد من ذلك، حين يؤكد أنه لو اتبع أى أحد اللوغوس فسوف يحيا حياة عقلانية، وهذا يعني أنه يمكنه اتباع المسيح حتى لو لم يسمع هذا الشخص بالرسالة المسيحية. وبذلك فإن يوستينوس يدعي أن الأنبياء والفلاسفة الذين عاشوا قبل المسيح كانوا مسيحيين حتى وإن لم يعرفوا هذا.(٦٩) حيث يقول فى دفاعه الأول: لقد تعلمنا أن المسيح هو بكر الله، وشرحنا قبلاً أنه هو الحكمة (لوغوس) الذي فيه يشترك كل البشر. والذين عاشوا بالحكمة هم مسيحيون. حتى ولو اعتُبروا من الملحدين مثل سقراط وهيراقليطس من اليونانيين وغيرهم، ومن غير اليونانيين إبراهيم وإيليا وعزرا وميصائيل.(٧٠)

وقد كانت حداثة آراء يوستينوس، خاصة فيما يتعلق بالمسيح، موضوع نقاش ذا أهمية كبيرة . فهو أول من تحدث في كتاباته عن العقيدة القائلة بأن يسوع هو العقل وكذلك الكلمة الخلاقة. وقد طبق يوستينوس معني كلمة "لوغوس" بوضوح ودقة على المسيح. علاوة على ذلك، كان يوستينوس أول من تحدث عن موضوع مطابقة هوية يسوع مع الله في العهد القديم الذي الذي تجسد وعاش

٦٨ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، الدفاع الثاني– الفصل ١٦، ص ١٢٠.

٦٩ – جوناثان هيل: مرجع سابق، ص٢٢.

٧٠ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، الدفاع الأول– الفصل ٤٦، ص ص ٧٣، ٧٤.

على الأرض بيننا. فكرة اللوغوس الكامل في شخص يسوع المسيح، والذي أبان ووضح بتجسده الكامل ظهورات العهد القديم.(٧١)

وهذا ما ذكره في كتابه ("الدفاع الثاني") حين قال: "إنّ المسيح كلمة الله ينير العقول البشرية منذ البدء، فأخصبت بذوراً" منه واهتدت إلى بعض الحقائق.. فكلّ ما قاله الفلاسفة والمشرعون وما اكتشفوه من جميل إنّما بلغوا إليه بفضل تأثير جزئي من الكلمة.(٧٢) ولمّا كانوا لم يعرفوا الكلمة بأكمله (لأنّه موجود بالبذار فقط) فقد أخطأوا أحياناً وناقض بعضهم بعضاً. فكل ما قيل من حقّ في أى حين أو فيما يخص الإنسانية جميعاً فهو ملك المسيحيين وحدهم حيث تجلت فى المسيحية الحقيقة الكاملة وهى الحقيقة التى جاء بها الوحى الإلهى عن طريق المسيح.

هذا ما علّمه القدّيس يوحنا في إنجيله، وما عبّر عنه القدّيس بولس بجلاء في رسالته الأولى إلى تيموثاوس بقوله: "٥لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، ٦الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ، " (١تيموثاوس ٢: ٥ – ٦).(٧٣)

وعمل المسيح هو عمل مزدوج، إنه أولاً (معرفة)، وهو ثانياً (حياة). وتلك هى الطريقة التى تم بها تصوّر الخلاص فى الكنيسة الإغريقية المبكرة. فالمسيح يقدم

71 - Sir James Donaldson: Critical History of Christian Literature and Doctrine: From the Death of the Apostles to the Nicene Council, vol 2, The apologists, Macmillan, London, 1866, p. 181.

٧٢ – القديس يوستينوس مصدر سابق، الدفاع الثاني– الفصل ١٠، ص ١١٦.

١– بولس الرسول: الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس: ٢: ٥–٦.

المعرفة والحياة. ولقد منح المسيح لإتباعه وجودًا حين لم يكن لهم وجود، في وجوده الجديد. هذا يعني أن المعرفة بالمسيح أحدثت الوجود. فالمعرفة والوجود ينتميان إلى بعضهما، ونفس الأمر يصدق على الكذب واللاوجود. فالحقيقة هى الوجود؛ والحقيقة الجديدة هي الوجود الجديد. ومن تكون له هذه المعرفة بالوجود تكون له معرفة منقذة مخلصة. وهنا يظهر الاختلاف بين المسيحية والعقلانية اليونانية فقد كان الإغريق مهتمين بالحقيقة، تلك الحقيقة الوجودية، التى تتعلق بوجودهم، والتي ستنقذهم من هذا الوجود المشوّه وتسمو بهم إلى الواحد الذي لا يتحرك. ولكن الحقيقة التى فهمتها الطوائف المسيحية المبكرة، عبارة عن مشاركة معرفية فى واقع جديد ظهر فى المسيح. بدون هذه المشاركة لن تكون أي حقيقة ممكنة، والمعرفة مجردة ولا معنى لها. وهذا هو ما كانوا يقصدونه عندما دمجوا بين المعرفة والوجود. فالمشاركة في الوجود الجديد هى مشاركة في الحقيقة، في المعرفة الحقيقية. يحدث هذا التطابق (الهُوية) بين الحقيقة والوجود في الحياة ويتحقق في المسيح؛ فالمسيح يمنح معرفة خالدة، معرفة تمنح الخلود. فهو المنقذ والقائد إلى الخلود.(٧٤)

خامسًا: المسيح وتجسد الحقيقة.

واجه يوستينوس معضلتين رئيسيتين في رحلة بحثه عن هوية حقيقية تشمل الجميع تحت رداء وعباءة المسيحية، **أولهما:** محاولة إيجاد حل للعلاقة

٧٤ – بول تيلش: تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهلينستية واليهودية حتى الوجوية، ترجمة د. وهبه طلعت أبوالعلا، ج ١، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٣٧.

بين الإيمان المسيحي فى العهد الجديد وما جاء فى العهد القديم، وهذا استدعى منه إثبات أحقية المسيحية الجديدة مقابل اليهودية القديمة. و**الثانية:** كيفية مواجهة العقلية اليونانية بنفوذها الطاغي. ولقد عمل يوستينوس جاهدًا إيجاد حل لذلك، من خلال الاستفادة من الأفكار الواردة في الفكر اليوناني، بل وإخضاعها لحقل اللاهوت المسيحي، وذلك من خلال تغيير هذه الأفكار بصورة جذرية وجعلها أدوات لخدمة عقائد وأفكار مثلت حجر أساس في بنيان الفكر المسيحي الناشئ. وفي سبيل ذلك وظف يوستينوس مذهبه عن " لاهوت الكلمة " لخدمة تلك الأغراض، حيث طبق ذلك فى اتجاهات متعددة بدون تمييز: فهو القوة التي عمل بها إله العبرانيين السماء والأرض، وهو الوسيط الإلهي فى تاريخ الإعلان. وهو العقل العام الذى قامت عليه الفلسفة الرواقية والأفلاطونية، إنه الحق الذى يعلن نفسه فى قلب كل إنسان كحقيقة مطلقة، ولكنه في الأساس هو يسوع المسيح الناصري. هذا هو مفهوم "اللوغوس" الذى شغل المركز الأول في فلسفة يوستينوس وغيره ممن لحقوه.[٧٥] أما عن سبب تجسد المسيح؛ فهو لتعليم البشر الحقيقة التي فتش عنها كثيرون عبر التاريخ، وخصوصًا الذين غرّهم الشيطان، واتبعوا تعاليم مغايرة لما أوحاه "الكلمة– اللوغوس" من خلال العقل، وليشارك البشر آلامهم وبؤسهم، كذلك ليبيّن ويرسم طريق الخلاص للجميع. وهذا الخلاص أو الفداء هو تحرير للإنسان من عبودية الشيطان الذي حطمه الله،

٢– جون لوريمر: تاريخ الكنيسة "عصر الآباء من القرن الأول حتى القرن السادس"،ط١، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣ ص ص ٧٥، ٧٦.

وحطم مملكته وقواه بواسطة يسوع المسيح المخلّص. فالمسيح قطع دابر الخطيئة التي أبعدت المخلوقات عن الله.(٧٦)

ومن الجدير بالذكر القول بأن يوستينوس الشهيد هو أول من أظهر كيف يفي لاهوت العهد الجديد بوعد العهد القديم وفلسفة اللوغوس القديمة، ممثلاً في تجسد المسيح، بعد القديس بولس St. Paul. (٧٧) حيث يقول في ذلك: "إن الناموس الذي أُعطي على جبل حوريب قد أُبطل وكان المقصود به اليهود فقط. بينما الناموس الذي أتحدث أنا عنه هو ببساطة لجميع الناس. وكما أن أي قانون جديد إذا تعارض مع القانون القديم فهو يُبطله، فهكذا أيضًا العهد الجديد يحل محل العهد القديم. فلقد أُعطينا ناموسًا أبديًا كاملاً، وهو المسيح ذاته.(٧٨) وهو هنا إنما يحاول توطيد وإرساء مفهوم الهُوية الحقيقية وتجسدها واكتمالها في شخص يسوع المسيح، من خلال نبوءات العهد القديم ورسائل الأنبياء قائلاً:" إذا كان الله قد تنبأ بأنه سيقطع عهدًا جديدًا ليكون نورًا للأمم ونحن نرى ونثق أنه باسم يسوع المسيح المصلوب أتى أناس إلى الله تاركين وراءهم الوثنية والممارسات الخاطئة وحفظوا الإيمان، فيستطيع كل أحد أن يرى بوضوح أن المسيح هو بالحقيقة الناموس الجديد والعهد الجديد ورجاء هؤلاء الذين من كل

٧٦- الأب جورج رحمه: موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ " يوستينوس الروماني – أثيناغورس الأثيني"، ص ٨٣.

77 - Adrian Pabst: Metaphysics: The Creation of Hierarchy, Wm. B. Eerdmans Publishing, 2012, U.S.A, p.60.

٧٨ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، الحوار مع تريفون، الفصل ١١، ص ١٤٨.

أمة ينتظرون بركات الله. نحن وصلنا إلى الله من خلال هذا المسيح المصلوب.[٧٩]

وهناك فكرة رئيسة مثّلت حجر الأساس في فكر يوستينوس الشهيد نصّت على أن نبوءات العهد القديم قد تحققت فى شخص الإله المتجسد. ويُعد هذا أقوي دليل على صحة المسيحية وما تمتلكه من حقيقة كاملة. فقد عبّر ناموس موسى عن الحقيقة، ولكنها كانت غير مكتملة، أما الاستعلان الكامل والنهائي لها فقد صار من الله للبشرية في شخص المسيح.[٨٠]

وإننا نجد جذور هذه الفكرة لدى القديس بولس وذلك فى حديثه عن شمولية دعوة المسيح التى ستشمل الجميع وتنقذهم وتخلصهم تحت مظلة السيد المسيح المتجسد الفادي للبشرية جمعاء حيث يقول القديس بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية:" ٢٦لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. ٢٧لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: ٢٨لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. ٢٩فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ.[٨١] ويتضح من منهج بولس الرسول التعليمي، أنه يعكس فصول توراة جديدة على مستوى ما جاء في إنجيل القديس متى في قول المسيح: "سمعتم أنه قيل للقدماء... أما أنا فأقول لكم". (متى ٥: ٢١) فحياة المسيح هى التوراة الجديدة. وغايتها وحدة القلوب والأفكار

٧٩ – نفس المصدر: الحوار مع تريفون، الفصل ١١، ص ١٤٩.

٨٠ – نفس المصدر: مقدمة الكتاب، ص ص ١٥، ١٦.

١– القديس بولس: الرسالة إلى أهل غلاطية، ٣: ٢٦– ٢٩.

والمشيئات بحسب المسيح في المسيح.[٨٢]وهنا نجد يوستينوس مسايرًا لتعاليم القديس بولس في استخدامه لنظرية التجلي الإلهي للتأليف بين الحكمة الهيلينية ولاهوت المسيح (فيسوع المسيح هو الذي تجلي لسقراط وأفلاطون وأخبرهما عن أصل الواحد والجوهر الإلهي وهو أيضًا الذي ظهر لموسى ثم تجسد في صورة بشرية).[٨٣]

وفي هذا السياق نادى يوستينوس بمجيء ناموس جديد أو شريعة جديدة أبطلت الناموس القديم. هذا الناموس الجديد هو أبدي، وغير محدود بجنس معين من البشر. ويضيف يوستينوس بأن هذا الناموس الجديد هو المسيح. ثم يلجأ إلى إشعياء ٤:٥١، حيث تقول الترجمة اليونانية للعهد القديم المعروفة بالسبعينية وهى تمثل الكتاب المقدس الذي يقرأه يوستينوس، بأن شريعة أو ناموس ستخرج من عند الله وستكون نورًا للأمم. كانت الترجمة اليونانية لكلمة " أمم"(nations) فى السبعينية هي نفس الكلمة التى تُترجم أمم أو وثنيين (gentiles). لذا يجادل يوستينوس بأن هذه الشريعة الجديدة من الله ستكون نورًا للأمم (gentiles). في النهاية يؤكد يوستينوس أن تابعي المسيح هم إسرائيل الحقيقي والنسل الحقيقي لإبراهيم. وعلى هذا الأساس يرفض يوستينوس الناموس

٨٢ – الأب متى المسكين: القديس بولس حياته لاهوته أعماله، ط١، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، ١٩٩٢م، صص ١٥٠ – ١٥١.

٨٣ – د. عصمت نصار: فلسفة اللاهوت المسيحي العصر المدرسي المبكر في القرون الخمسة الأولى، دار الهداية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ص ٧٤، ٧٥.

باعتباره أصبح باليًا بمجئ المسيح الذي افتتح عهدًا جديدًا. ثم يزعم أيضًا بأن المسيح هو العهد الجديد الذي تحدث عنه أنبياء العهد القديم. (٨٤)

ويقول أيضًا يوستينوس في هذا السياق :" وكما أن أي قانون جديد إذا تعارض مع قانون القديم فهو يُبطل القديم، فهكذا أيضًا العهد الجديد يحل محل القديم. لقد أُعطينا ناموسًا أبديًا كاملاً، وهو المسيح ذاته، وأخذنا عهدًا جديرًا بالثقة لن يكون بعده أي ناموس أو فريضة أو وصية أما قرأتم كلمات إشعيا: "أنصتوا إلّي، أنصتوا إلّي يا شعبي وأصغوا إلّي أيها الملوك، لأن شريعة تخرج من عندي، وقضائي نور للأمم سريعًا يقترب برّي ويظهر خلاصي وعلى زراعي تتكل الأمم (إش ٥١: ٤، ٥). أما بخصوص هذا العهد الجديد، فيقول الرب لإرميا هوذا تأتي أيام يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدًا جديدًا، غير العهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أخذت بيدهم لأخررجهم من أرض مصر (إر ٣١: ٣١، ٣٢). وعلي ذلك، إذا كان الله قد تنبأ بأنه سيقطع عهدًا جديدًا ليكون نورًا للأمم ونحن نرى ونثق أنه يسوع المسيح المصلوب، والمسيح هو بالحقيقة الناموس الجديد والعهد الجديد.(٨٥)

ويذكر يوستينوس بأن خلاص اليهوديين لن يحصل إلا من خلال السيد المسيح وذلك كما ذُكر فى الكتاب المقدس حيث يقول :"وبما أن الكتاب المقدس صادق بلا شك فإن الله لا يريد أن تظلوا على الدوام فى جهل وكبرياء كما أنتم الآن، بل

---

٨٤ - رونالد إي هاينه: قراءات العهد القديم وفقًا للكنيسة الأولى " رحلة استكشافية لمراحل تشكيل فكر المسيحيون الأوائل، ترجمة . عادل زكري، مراجع أمجد بشارة، ط ١، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٦م، ص ٦٨.

٨٥ – القديس يوستينوس : مصدر سابق، الحوار مع تريفون– الفصل ١١، ص ص ١٤٨، ١٤٩.

أن تخلصوا بالمسيح الذي أرضى الله كما أوضحت لكم من كتابات الأنبياء القديسين".(٨٦)

وبالتناظر تنسحب تلك الرؤيا اليوستينية على تصوره للعلاقة بين المسيحية والفلسفة اليونانية، ومن هذا المنطلق يعد يوستينوس من أكثر المدافعين عن المسيحية أهمية فى الفترة المبكرة.(٨٧) وذلك من خلال تأكيده على أن المسيحية هى الفلسفة الوحيدة اليقينية والمناسبة من بين كل الفلسفات الأخرى.(٨٨) **وهو يراها كذلك لأنها تعالج الجانب الروحي ولا تحمل طابعًا خرافيًا. بل تجسدت وتحققت فعليًا على أرض الواقع وتعايش معها المؤمنين من المسيحيين؛ ولذلك هى فلسفة حقيقية يقينية تحوي وتشمل المعرفة الكاملة، على عكس الفلسفة اليونانية. وفي ذلك** يقول يوستينوس:" لقد تعلمنا قبلاً أن المسيح هو الكلمة (لوغوس Logos) الذي فيه يشترك كل البشر، والذين عاشوا بالحكمة هم مسيحيون. حتى ولو اعُتبروا من الملحدين مثل سقراط وهيراقليطس من اليونانيين وغيرهم.(٨٩) فالحقيقة التى اكتملت في شخص المسيح، كانت موجودة على الدوام في صورة "بذرة(*)" أو بصورة جزئية. أما المسيح؛ فلأنه هو الحق في ذاته

٨٦ - نفس المصدر : الحوار مع تريفون- الفصل ٩٢، ص ٢٥٩.

87 - Alister E. McGrath: Christian History: An Introduction, first published , John Wiley & Sons, London, 2013, p.316.

88 - Wilhelm Windelband: History of Ancient Philosophy, trans by Herbert Ernest Cushman, C. Scribner's sons, 1899, new york, p. 353.

٨٩ – القديس يوستينوس: مصدر سابق، الدفاع الأول– الفصل ٤٦، ص ص ٧٣، ٧٤.

* – من الجدير بالذكر هنا توضيح أن المقصود "ببذرة اللوغوس" أو "بذرة الكلمة" في كلام يوستينوس هو الحكمة التى أعطاها أو أودعها الله في قلوب وعقول كل البشر بمقدار بحثهم عن الحقيقة. أما اللوغوس الكامل فهو المسيح اللوغوس ذاته الذي صار جسدًا محسوسًا في صورة إنسان

فإنه كان يعمل بكونه هو الحقيقة وبكونه هو "الكلمة" حتى قبل تجسده؛ لهذا فإن كل من عاشوا قبل مجئ المسيح في الجسد، وبالحرى رجال العهد القديم والفلاسفة، لم يكونوا بعيدين عن المسيح. فالحقيقة الكائنة في العالم هى واحدة وهى التي اكتملت في شخص المسيح. غير أن معظم فلاسفة الأمم، كانوا قد حرفوا بذرة الحقيقة، وهكذا فقد خلصوا إلى أنظمة فلسفة خاطئة.(٩٠) حيث يقول يوستينوس فى هذا السياق: "وجميع ما اكتشفه الفلاسفة والمشرعون وعبّروا عنه تعبيرًا جيداً كان بفضل اكتشافهم وتأملهم لجزء ما من اللوغوس. ولكن بما أنهم لم يعرفوا اللوغوس، الذي هو المسيح معرفة كاملة، فقد كانوا أحيانًا يناقضون أنفسهم.(٩١)

ويذهب يوستينوس إلى أبعد من ذلك حيث يؤكد أن البشر جميعًا بما فيهم حتى البسطاء قد أدركوا جزءًا من الحقيقة الكاملة المتجسدة في السيد المسيح حيث يقول:" ولكن الذين آمنوا بالسيد المسيح ليسوا العلماء والفلاسفة فقط، بل أيضًا العمال وغير المتعلمين، فهم من احتقروا الخوف والمجد والموت؛ إذ إنه عندما اتخذ طبيعتنا ومشاعرنا البشرية علمّنا هذه التعاليم نفسها".(٩٢)

وقد أظهر يوستينوس الفارق بين فلسفة العالم وبين الفلسفة المسيحية؛ فبينما الأولى هى البحث عن الحقيقة، تأتى المسيحية الفلسفة الكاملة الإلهية

كامل. وقد وضع الله بذور الحقيقة عند كل الناس وهذا هو السبب في كون أناس مسيحيين حتى قبل مجيء المسيح نفسه. (الباحث).

٩٠ – القديس يوستينوس: مصدر السابق ، ص ص ١٤، ١٥.

٩١ – نفس المصدر: الدفاع الثاني، الفصل ١٠، صـ ١١٦.

٩٢ – القديس يوستينوس: الدفاع الثاني، الفصل ١٠، صـ ١١٧.

السامية السماوية غير الكاذبة، الحق الحقيقي الكامل وحدها.[٩٣] ولذلك يقول يوستينوس إن الإنسان يحتاج إلى إعلان أسمى من ملكاته العقلية حتى يستطيع أن يجعل فلسفته كاملة، فالفلاسفة الحقيقيون هم جماعة مستعدون للموت من أجل الحق، وهذا ما يجعلهم نوعاً من المسيحيين إلى حد ما. وكل من عاش حياة عقلية وكان فيه الإلهام الإلهي (الكلمة) " كسقراط" و" هيرقليطس" مثلاً، كانوا مسيحيين. فالمسيح هو الفيلسوف الكامل؛ لأن الكلمة أو الإلهام الإلهي حل فيه بكل كماله وسموه. " فالكلمة " كله من أجلنا صار المسيح الذى بدوره صار جسداً وعقلاً وروحاً. ولم يكن هدف يوستينوس من ذلك تعظيم الفلسفة اليونانية بقدر ما كان يريد أن يبين مدى سلطة وأهمية المسيح.[٩٤] وبناء على هذه النظرية نظرية الكلمة ذات الأصول البذرية يتضح أن الانتماء الكامل والكلي إلى الكلمة يتحقق في المسيحية وله أساس معقول نستطيع الأخذ به والنصح به وليس من خلاف بين الفلسفة والمسيحية.[٩٥]

وقد وضّح يوستينوس أن المسيحية هى أعظم ما ينطبق عليها البرهان العقلي انطباقاً كاملًا، وهكذا وضع لكل من لحقوه من المفكرين المسيحيين منهجاً عقلياً للمسيحية حتى يستطيعوا شرح ديانتهم فى عبارات معقولة منطقية متوازنة.

---

٩٣ – أنطوان فهمي جورج: القديس يوستين والآباء المدافعين، كنيسة مارمرقس والبابا بطرس، الاسكندرية، ص ١٠.

٩٤ – جون لوريمر: تاريخ الكنيسة "عصر الآباء من القرن الأول حتى القرن السادس"،ط١، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣ ص ٧٥.

٩٥ – المطران كيرلس سليم بسترس وآخرون: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط١، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ٢٠٠١م، ص ٢٣٠.

وعلى هذا الأساس أعلن للإمبراطور أن كل المسيحيين فلاسفة بالحق ويستحقون أن يعاملوا معاملة الفلاسفة الآخرين باحترام وتقدير على غير ما كانوا يلقون من معاملة الدولة لهم، فقد امتلأت من نحوهم بالغضب غير المعقول، ولذلك لم تكن عادلة معهم.[٩٦] وبناء على ذلك تكون المسيحية فلسفة عامة، وحقيقة شاملة لمعنى الوجود. ويعنى ذلك أنه حيثما تظهر الحقيقة فإنها تخص المسيحية فحسب. فالحقيقة بشأن الوجود حيثما تظهر فهى حقيقة مسيحية. وبلغة مذهب اللوغوس لا يمكن أن توجد حقيقة فى أى مكان إلا وهى متضمنة فى الحقيقة المسيحية. هذا ما يقوله الإنجيل الرابع: لقد ظهر اللوغوس مملوءاً بالحقيقة والنعمة.[٩٧]

الخاتمة:

توصّل الباحث في ضوء هذه الدراسة "إشكالية تنامي الهوية في الفكر المسيحي المبكر عند يوستينوس الشهيد"، إلى مجموعة من النتائج أهمها:

أولاً: يمثل البحث في مفهوم الهُوية أحد التحديات المعاصرة التي تواجه إنسان العالم سواء كانت تلك الهُوية دينية أم عرقية أم ثقافية أم قومية أم غيرها من أنواع الهُويات، التي تُحدد انتماء الإنسان وسلوكه. وهى تتعلق بعديد القضايا التي تشغل بال الإنسان وقد انعكس ذلك بصورة كبيرة علي ما قدمه يوستينوس من أفكار.

٣- جون لوريمر : مرجع سابق، ص ٧٥.

٤- بول تيلش : تاريخ للفكر المسيحى من جذوره الهلينستية واليهودية حتى الوجودية، جـ١، صـ ٤٢.

ثانياً: كانت محاولة يوستينوس الشهيد لتنمية بل وتعميق وتعزيز هوية مسيحية تجمع شتات أفرادها وتوطد دعائم انتمائهم محاولة مثمرة وجادة من عدة جوانب:

١- نجح في انتقاء المفاهيم والمصطلحات الواردة في الفلسفة اليونانية وخاصة الرواقية فقد استفاد كثيرًا من مصطلح اللوغوس واستطاع تطويعه ليصبح مصطلحًا فاعلاً في حقل اللاهوت المسيحي. و لانغفل أيضًا الدور المحوري لمفهوم العالمية الرواقي، ودوره المهم في تعزيز فكرة الشمولية التي أتت بها المسيحية معززة مفهوم الهُوية وتقوية رابط الجماعة.

٢-جاءت محاولته لإثبات أحقية المسيحيين في امتلاك الحقيقة الكاملة حجر أساس وطد بصورة كبيرة هوية جديدة بإفكار خلاقة.

٣- هناك شيء مهم ساهم في تسهيل مهمته وهو الوزن الكبير الذي حمله الدين داخل نفوس الأفراد، فقد كان حافزًا قويًا في تدعيم مفهوم الهُوية وتقويتها. فقد أدّت المسيحية دورًا حاسمًا عند يوستينوس تجسد في إيجاد هوية مسيحية دينية مستقلة ساهمت في شعور أتباعها بالإنتماء تحت مظلة الشمولية وتجسد الحقيقية المطلقة في شخص يسوع المسيح فحسب.

ثالثاً: مثلت محاولة يوستينوس حلقة مهمة من حلقات الدفاعات الآبائية المبكرة عن الهُوية المسيحية المتنامية بقوة في وجه نفوذ اليهودية المتعصبة لهويتها والثقافة اليونانية الداعمة لهويتها بالأساليب العقلية.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

أ-المصادر العربية:

الكتاب المقدس: ١- العهدان القديم والجديد.

القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد: ٢- الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى: ترجمة آمال فؤاد، مراجعة مجموعة من المراجعين، ط١، دار باناريون، القاهرة، ٢٠١٢م.

ب-المصادر الإنجليزية:

Saint Justin (Martyr): 1- The First and Second Apologies, translated by Leslie William Barnard, Paulist Press, New York, 1997.

ثانيا: المراجع:

أ-العربية والمترجمة إليها:

برهييه (اميل): ١- تاريخ الفلسفة "الجزء الثانى" الفلسفة الهيلينستية والرومانية "، ترجمة / جورج طرابيشى، دار الطليعة، ط٤، بيروت، ١٩٨٢م.

بسترس (المطران كيرلس سليم) وآخرون: ٢- تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط١، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ٢٠٠١م.

تلش (بول): ٣- تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهلينستية واليهودية حتى الوجوية، ترجمة د. وهبه طلعت أبوالعلا، ج ١، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.

جورج (أنطوان فهمي): ٤- القديس يوستين والآباء المدافعين، كنيسة مارمرقس والبابا بطرس، الاسكندرية.

حنفي (حسن): ٥- الهُوية، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

الخضري (القس حنا جرجس): ٦- تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر الأجيال، المجلد الأول، دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

رحمه (الأب جورج): ٧- موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ " يوستينوس الروماني – أثيناغورس الأثيني"، ط١، منشورات المركز الرعوي للأبحاث والدراسات، لبنان، ١٩٩٢م.

رستم (أسد): ٨- آباء الكنيسة، ط٢، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ١٩٩٠م.

طرابلس (عدنان): ١٠- الرؤية الارثوذكسية للإنسان "الأنثروبولوجيا الصوفية"، منشورات النور، بيروت، ١٨٨٩م.

القيصري (يوسابيوس): ١١- تاريخ الكنيسة، تعريب القمّص مرقس داود، ط٣، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٩٨م.

كواستن (جوهانس): ١٢- علم الآبائيات "باترولوجي" المجلد الأول بدايات الأدب الآبائي"، ترجمة وتقديم أنبا مقار، ط١، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٥م.

لوريمر (جون): ١٣- تاريخ الكنيسة "عصر الآباء من القرن الأول حتى القرن السادس"، ط١، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

المسكين (الأب متى): ١٤- القديس بولس حياته لاهوته أعماله، ط١، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، ١٩٩٢م.

ميكشيللي (إليكس): ١٥- الهُوية، ترجمة: علي وطفة، ط١، دار الرسيم للخدمات الطباعية، سوريا، ١٩٩٣م.

نصار (عصمت): ١٦- فلسفة اللاهوت المسيحي العصر المدرسي المبكر في القرون الخمسة الأولى، دار الهداية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

هاينه (رونالد إي): ١٧- قراءات العهد القديم وفقًا للكنيسة الأولى " رحلة استكشافية لمراحل تشكيل فكر المسيحيون الأوائل، ترجمة . عادل زكري، مراجع أمجد بشارة، ط ١، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٦م.

هيل (جوناثان): ١٨- تاريخ الفكر المسيحي، ترجمة سليم اسكندر، مايكل رأفت، مراجعة محمد حسن غنيم، ط١، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١٢م.

ويلتر(ج.): ١٩- الهرطقة في المسيحية: ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.

ب-المراجع الأجنبية:

Adrian Pabst: Metaphysics: 1- The Creation of Hierarchy, Wm. B. Eerdmans Publishing, U.S.A, 2012.

Alexander Viets Griswold Allen:2- The Continuity of Christian Thought: A Study of Modern Theology in the Light of Its History, Houghton, Mifflin, New York, 1893.

Alister E. McGrath: 3- Christian History: An Introduction, first published , John Wiley & Sons, London, 2013.

Edward Lindberg: 4- God and Nature: Historical Essays on the Encounter Between Christianity and Science, edited by David C. Lindberg, Ronald L. Numbersm University of California Press, U.S.A, 1986.

Emily Jane Hunt: 5- Christianity in the Second Century: The Case of Tatian, Ro` 1EOPYutledge, London and new york, 2003.

Eugene LaVerdiere: 6- The Eucharist in the New Testament and the Early Church, Liturgical Press, U.S.A, 1996.

Jackson Lashier:7- Irenaeus on the Trinity, BRILL, Netherlands, 2014.

Philip Schaff: 8- History of the Christian Church. Ante-Nicene Christianity. A.D. 100-325, vol 2,oxford university press, , 1884.

Richard Alfred Norris: 9- The Christological Controversy "Sources of Early Christian thought", Fortress Press, U.S.A, 1980.

Roger E. Olson: 10- The Story of Christian Theology: Twenty Centuries of Tradition Reform, InterVarsity Press, U.S.A. 1999.

Sir James Donaldson: 11- Critical History of Christian Literature and Doctrine: From the Death of the Apostles to the Nicene Council, vol 2, The apologists, Macmillan, London, 1866.

Sonia Sikka, Bindu Puri, Lori G. Beaman: 12- Living with Religious Diversity, first published, Routledge, United Kingdom, 2016.

Wilhelm Windelband: 13- History of Ancient Philosophy, trans by Herbert Ernest Cushman, C. Scribner's sons, new york,1899.

ثالثًا: المقالات العلمية:

محمد زركان: ١- أثر التفسير الرمزي المسيحي لنصوص العهد القديم على تقنين العقيدة "مقاربة فى تراث يوستينوس"، مركز نماء للبحوث والدراسات. للمزيد انظر: https://nama-center.com/ تاريخ الزيارة: ٤/١١/٢٠٢١م.

رابعًا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف:

بدوي (عبد الرحمن): ١- الموسوعة الفلسفية، ج ٢، ط١، المؤسسة العربية لطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

الجرجاني (الشريف علي بن محمد): ٢- التعريفات، ج ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

سعيد (جلال الدين): ٣- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٤م.

صليبا (جميل): ٤- المعجم الفلسفي، جـ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

الموسوعة الفلسفية العربية: ٥- معهد الإنماء العربي، المجلد الأول "الاصطلاحات والمفاهيم"، ط١، معهد الإنماء العربي مكتبة مؤمن قريش، بيروت، ١٩٨٦م.

فرج (أ. عادل): ٦- موسوعة آباء الكنيسة، ج ١، دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

مجمع اللغة العربية: ٧- المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٧م.

مجمع اللغة العربية: ٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية: ٩- الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

وهبة (مراد): ١٠- المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

اليسوعي (الأب صبحي حموي): ١١- معجم الإيمان المسيحي، مراجعة الأب جان كوربون، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨م.

Problematic of Identity Augmentation in the Early Christian thought of "Justin Martyr"

Abstract

This research presents a new vision for an original philosophical concept that goes into the depths of philosophical knowledge. Because of its characteristics that make it at the forefront of important concepts in the field of philosophical studies; It represents the state of conflict experienced by those who practice philosophical research in order to reach the truth and then belong to it, whatever the consequences. This case was clearly demonstrated in the subject of our research entitled "The Problem of Identity Growth in Early Christian Thought for Justin Martyr.". St. Justin represented an important example of this situation; He is one of the first Christian philosophers - so to speak - who represented a link between philosophy and Christianity. He borrowed philosophical concepts from different philosophical schools and tried to adapt them to serve Christianity, and this contributed greatly to persuading the followers of Christianity in the stage of the growth, emergence and rise of the Christian identity, in the face of several challenges, the most important of which were represented in the relationship between Judaism and Christianity on the one hand, and the ability of Christianity to prove its identity And its right in the face of Greek philosophy on the other hand, in addition to the state of conflict with the Roman authorities at the time.

key words: Justin Martyr, Identity, logos, truth, incarnation